وبعد ان بدا ان الجماهير العربية والفلسطينية اخذت تتردد في اندفاعها لتأييد الثورة بل اخذ البرود يسيطر على تصرفاتها ازاء الثورة (وذلك بفعل اخطاء الثورة من جهة وكذلك بفعل عوامل محلية عربية وتحريض اجنبي) . وكان واضحا ان توجيه الضربة للفدائيين من قبل اسرائيل خطأ عسكري وسياسي بالنسبة لسياسة الولايات المتحدة بوجه خاص ، واختير نظام الحكم الاردني المعروف بسوابقه في ضرب الثورات والحركات الوطنية ليقوم بضربة همجية يائسة بعد ان هيئت له ظروف عسكرية وداخلية وشعبية وبعد أن لوح له مهندسو السياسة الامبريالية بالحصة المرتقبة من حل سياسي يرسم للمنطقة . وهكذا منذ مطلع عام ١٩٧٠ جرت اتصالات سياسية على أعلى مستوى مع الولايات المتحدة واسرائيل كما جرى تمهيد الجو في المنطقة العربية وتمت بعض المناورات في مطلع العام (العاشر من شباط) وفي منتصفه (تموز) ، وفي مساء السابع عشر من أيلول كان كل شيء معدا لتنفيذ المجزرة . وقد مارست الثورة ضغوطا سياسية عربية شديدة لوقف الكارثة او تأجيلها ولكن ساعة الصفر — فيما يبدو — كانت قد حددت للنظام الاردني .

وبعيداً عن الاسباب الدولية والعربية والخارجية يمكن القول ان الاسباب الذاتية للثورة هي التي جعلت نكسة عام ١٩٧٠ ممكنة ، اذ يفترض في كل ثورة ان تحسب تحركاتها على اساس العوامل الخارجية والمحلية ، وفعلا لم تكن ضربة أيلول مفاجأة للعاملين في الثورة حتى في توقيتها (وان كان مستوى عنفها فاق كل تصور) . ولقد واجهت الثورة قوات السلطة بشجاعة وصمود جديدين في التاريخ المعاصر للمنطقة ولكن صمودها اتصف بطابع سلبي يعكس عجزها الذاتي عن الحركة من جهة ويذكر من جهة اخرى بالمصير المؤلم لمعظم الحركات الثورية التي أدى توقفها عند مبدأ (الدفاع الذاتي) الى اعطاء الانظمة الرجعية فرصة كافية للاستعداد وتوجيه الضربة الحاسمة في الوقت المناسب . وفي ذلك يقول ريجيس دوبريه : « ان الدفاع الذاتي لا ينجم عن نقص في شجاعة الدافعين اليه ، بل بالعكس عن سخاء في التضحيات المذهلة وتبذير في البطولة لا يؤديان الى شيء ، وانما يؤديان الى كل شيء سوى الاستيلاء على السلطة السياسية »(٢) .

والخلاصة ان الثورة الفلسطينية منذ نشأتها حملت عدوى المرض الثوري المسيطر على المنطقة العربية ذات التيارات السياسية المتشابكة ، وتضخمت تضخما كميا سريعا عجزت عن استيعابه وتحويله الى طاقة نوعية بسبب اضطراب الرؤية والضعف التنظيمي ، واخيرا وجدت نفسها اسيرة لمبدأ (الدفاع الذاتي) مما اتاح للنظام الاردني ان يوجه اليها ضربة حاسمة ومما جعلها تبدو ضعيفة ازاء محاولات احتوائها في المنطقة العربية .

في التصور المرحلي للثورة الفلسطينية

بعد مضي ست سنوات على بدء الكفاح الفلسطيني المسلح اصبح من الممكن تطبيق نوع من التصور المرحلي للثورة الفلسطينية ، وهو تصور لا بد منه اذا اراد المرء ان يحدد معالم المرحلة المقبلة التي يجب على الثورة ان تتطور باتجاهها . ويمكن ان نميز حتى عام ١٩٧٠ مرحلتين واضحتين ، المرحلة الاولى (١٩٦٥ — منتصف ١٩٦٧) والثانية (منتصف ١٩٦٧ — ايلول عام ١٩٧٠) .

المرحلة الاولى : يمكن تسميتها بمرحلة الطفولة ، وتمتد من كانون الثاني ١٩٦٥ الى حزيران ١٩٦٧ ، وفيها تمت سلسلة من العمليات الفدائية سجلت معظمها بلاغات حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) واهم مميزات هذه المرحلة : ١ — العزلة النسبية عن الجماهير ، فعلى الرغم من أن الجماهير الفلسطينية (والعربية ايضا) لم تخف اعجابها

٢ — دوبريه ، ريجيس : **ثورة ضمن الثورة** ، ترجمة ابراهيم قريط ، دمشق ، ١٩٦٧ ، ص ٢١ . وفي فصل (الدفاع الذاتي المسلح) من هذا الكتاب نواح كثيرة يمكن الاستفادة منها في فهم أزمة الثورة الفلسطينية .